كتاب

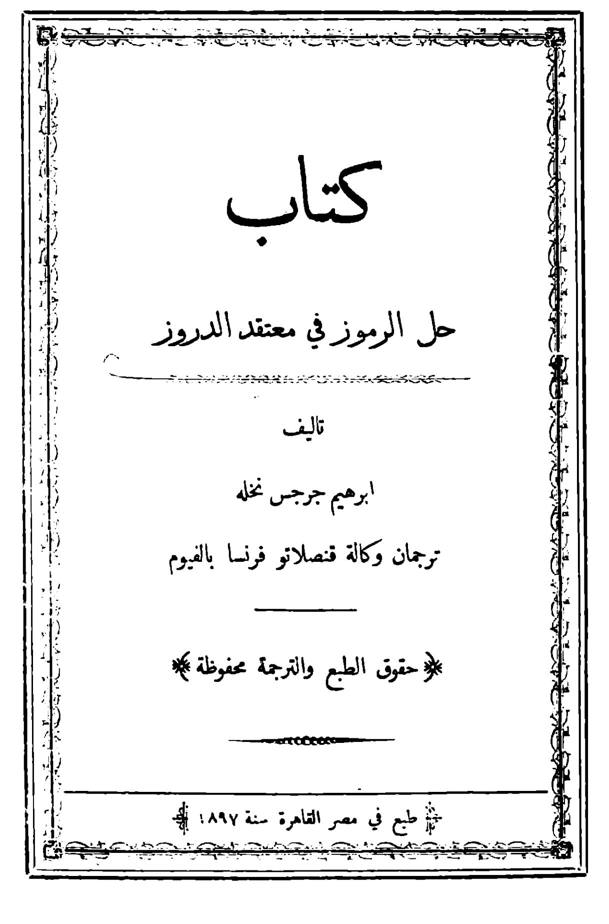
حل الرموز في معتقد الدروز

تاليف

ابرهيم جرجس نخله

ترجمان وكالة قنصلاتو فرنسا بالفيوم

طبع في مصر القاهرة سنة ١٨٩٧



كتاب

حل الرموز في معتقد الدروز

تاليف

ابرهيم جرجس نخله

ترجمان وكالة قنصلاتو فرنسا بالفيوم

طبع في مصر القاهرة سنة ١٨٩٧

المقدمة

حمدًا لمن خلق الناس · فاختلفوا في المذاهب والاجناس · وشكرًا لعنايته الازلية بابداع الكائنات على مقتضيات الحكمة والتدبير اذ لو شاء لجعل الناس امة واحدة انه على كل شيء قدير

اما بعد فلما كانت عادة المرء الولوع في استطلاع كل خافيه والانشغاف بمصادر الحقائق الوافيه حبًا براحة النفس واستكانة الضمير ورغبة في العلم بالشيء وشتان بين ضرير وبصير وكان كل انسان يهمه معرفة معتقد طائفة الدروز على قدر الاستطاعة خصوصاً بعد ان ثاروا بحوران وشقوا عصا الطاعة رأيت ان اكشف عن محيا معتقدهم النقاب واؤلف به كتاباً جامعاً لفصل الخطاب في هذا الباب

نعم انني صادفت في سبيل بلوغ هذه الامنية غاية الصعاب وسلكت بتأليفه مسلكاً ذللت به كل العقاب لما لهذه الطائفة من الاصرار والاسرار في المبادىء والتقليدات والاطوار ولكن قد بذلت الجهد الجهيد سعياً وراء المفيد حتى بلغت من المقصود النهايه ومن جد وجد الغايه لانني تحصلت على بعض مؤلفاتهم الجامعة لعوائدهم ومعتقداتهم · وقد ساعدتني الظروف

فعثرت على نسخة خطها احد عقلائهم وهي جامعة لقواعد مذهبهم الاساسية ودستور تقليداتهم الدينية فاقتطفت منها ما صادف هوى من الفواد وشف باروا روايته اوار كل صاد ثم استعنت بعد هذا وتلك بالله في هذا العمل فجاء بحوله تعالى طبق المرغوب وغاية الامل · نعم انه صغير الحجم لكنه جمع من حيث مبناه وموضوعه ومعناه بين المهم والاهم

وإذا بدا لا تستقلوا حجمه　　وحياتكم فيه الكثير الطيب

هذا وبما ان الكتاب مفيد لقارئيه وملذ لمطالعيه سميته

(حل الرموز في معتقد الدروز)

وها انا ازفه لحلفاء التاريخ ونصراء الاداب فعساهم ان يقابلوه بالقبول والترحاب ويشملوه بغض النظر عن خطاء يرتاءونه وقصور يجدونه لان العصمة والكمال لله المتعال

من ذا الذي ما زل قط　　ومن له الحسنى فقط

والله اسأل ان يوفقنا جميعاً الى ما به خدمة الوطن بالعلم والعمل ما فاز الميل بانفاذ الامل

ابراهيم جرجس نخله
ترجمان وكالة قنصلاتو
فرنسا بالفيوم

نسبة الدروز ونشأتهم وعقائدهم

ان اسم الدروز هو نسبة لرجل اسمه نشتكين الدرزي (اي الخياط) والدروز لا يرتضون لانفسهم هذه النسبة ويدعون انفسهم موحدين لاسباب سيأتي الكلام عليها :

نشأت هذه الطائفة على اطلال طايفة القرامطة المنسوبة الى حمدان قرمط التي نشأت في مدينة هجر والاحساء وسواد الكوفة وامتدت الى اليمن وبلاد الشام في اواخر الجيل الثالث الاسلامي فالخلفاء العباسيون قد اجتهدوا مدة قرن كامل في استئصال القرامطة بحروب كثيرة كانت بينهم واخيراً تغلب الخلفاء العباسيون على القرامطة في جهات متعددة منها مدينة سُلَيْمة بالقرب من حماه وكان موجوداً بها رجل مجوسي من ولد ديصان يسمى عبيد الله تمذهب بمذهب القرامطة ففر الى بلاد افريقية وهناك تسمى بعبيد الله المهدي وتظاهر بدين الاسلام وادعى الشرف زوراً وانه من ولد فاطمة بنت النبي محمد (صلعم) صاحب شريعة الاسلام الغراء وصار له دولة وعمر مدينة مهدية التي سميت باسمه ومن ذرية عبيد الله اتى الملك المعز الذي فتح بلاد مصر بواسطة خادمه القايد جوهر باني مدينة القاهرة

وهو اول خلفاْ الدولة الفاطمية في مصرومن سلالة الملك المعز اتى الحاكم بامر الله احمد بن نذار وتولى السلطنة بمصرسنة ٣٧٥ هجرية اذ كان عمره احدى عشر سنة وفي سنه ٤٠٧ هجرية ظهر في خدمته رجل مجوسي اسمه تشتكين الدرزي المشار اليه انفاً ودعى الناس الى عبادة الحاكم بامر الله بكونه الهاً متجسداً فثار عليه العوام وقتلوه والحاكم تظاهر انه راض بقتله واخيراً قتل من قتله ومع ذلك فان مؤلفات حمزه تلعن تشتكين المذكور ولهذا لا يرتضي الدروز بان يلقبوا بالدرزي وفي سنة ٤٠٨ هجرية التي هي مبدأ تاريخ الدروز ظهر في مصرحمزه بن علي بن احمد العجمي وكان مجوسياً ايضاً ودعى الناس ثانية الى عبادة الحاكم المذكور واتخذ لمساعدته اربعة اشخاص وهم اسماعيل ومحمد وسلامه وبهاء الدين وسماهم الاربعة حُرم ولقبهم بالقاب كثيرة وسماهم ايضاً مع نفسه بحدود دعوة التوحيد الخمسة وخصَّ نفسه باسماءٍ كثيرة منها العقلي الكلي ونقطة البيكار والامام وهادي المستجيبين ويسوع (بتشديد السين) وذومعه بمعنى انه دائماً بمعية الاله الحاكم بامره وهرمس الهرامسه وديدان وشطنيل والقاب كثيرة غير هذه واخذ مما عدا الاربعة المشار اليهم مايه وتسعة وخمسين رجلاً وسمى بعضهم دعاة وبعضهم نقباء وبعضهم مكاسرين فكان جملة الاشخاص المستعدين لهذه الدعوة ماية واربعة وستون رجلاً فسمى هذا المجموع حروف (السدق) تطبيقاً لهذا العدد بحساب حروف الجمل لان السين ستين وحرف الدال اربعة وحرف القاف ماية فكان حق الكتابة العربية الصدق

بالصاد المهملة ولكن لما لم يوافق عدد الاشخاص للصاد التي تحسب تسعين فابدلها بالسين ولذلك ترى الدروز الى الآن يلفظون ويكتبون الصدق بالسين دون الصاد ويطلق ايضاً على هؤلاء الاشخاص حدود دعوة التوحيد ثم ان حمزه اخذ بتأليف الرسائل واذن ايضاً بالتأليف لرفقائه الاربعة الذين سماهم الحرُم على انهم يستفيدون منه كما تستفيد المرأة من بعلها وقلدهم المناصب السامية في دعوته لعبادة الحاكم بامره فكلما وصل ليد الدروز مما الفه حمزة ورفقاؤه من ابتداء دعوته سنة ٤٠٨ هجرية الى نهاية حيوة بهاء الدين الذي عاش اكثر من الجميع ومات سنة ٤٣٣ هجرية وهي السنة السادسة والعشرون من سني حمزة التي يؤرخون بها فقد بلغ ماية واحدى عشرة رسالة احداها نظماً يسمونها شعر النفس (يريدون بالنفس اسماعيل صهر حمزة وهو احد الاربع حرم واكبرهم) والرسائل المذكورة تسمى عندهم مجالسة الحكمة وعلماؤهم بعد ذلك قسموها الى ستة كتب يحتوي كل كتاب منها على عدة من هذه الرسائل وسموا الكتاب باسم الرسالة الواقعة في اوله او في آخره. وفي كل منها احداها السجل او السير (جمع سيرة) ثانيها الرد او الدامغة ثالثها الايقاظ رابعها الجزء الاول من السبعة اجزاء خامسها المعراج سادسها التوبيخات. وفي سنة ١٨١٧ مسيحية وصل اليهم كتاب آخر سموه كتاب اليونان يحتوي على ثمان رسائل اتحفهم به رجل مسيحي قد عثر عليه في مكاتب مصر اذ كان يفحص عن كتب اخرى وهم الآن يذكرون حسن صنيعه هذا وهذه الكتب

تعتبر عندهم كالتوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى والقرآن عند المسلمين ولا يجوز عندهم اطلاع الخارجين عن مذهبهم عليها ولا تسليمها الى احد من مذهبهم قد سبق اجترامه فعل الزنا او قتل النفس ولو انه كان من التائبين بل يسمح له ان يطالع في شروحات دينية تتضمن معانيها وما تضمنته هذه الرسائل هو في مواضيع مختلفة منها ما يختص في العقايد والشرايع ومنها ما هو ردٌّ على من خالف معتقداتهم كاليهود والنصارى والمسلمين والوثنيين والتشنيع عليهم فيما يذهبون اليه ومنها مخاطبات وتقليدات وظائف من حمزة الى رفقائه ومنها تهديدات ووعد ووعيد ومنها محاماة عن نقائص كانت تقع من الحاكم بامره فيوجهونها الى مقاصد حكمية ورموز سرية لا يقبلها الذوق السليم هذا وان اكثرها يتضمن رموزاً والغازاً خرافية تأخذ بالعقول السخيفة وكثيراً ما يبنون قواعد دينية يستنبطونها من اشكال رسم الحروف العربية او من واقع اعدادها بحساب الجمَّل مما لا يقبله العقل السليم فاذا تصفحنا شريعة الدروز نجدها مركبة من مذاهب قدماء الفلاسفة ومن بعض عقائد مسيحية واسلامية ممزوجة باشياء من مذهب الباطنية اما شريعة الدروز التي ظهرت في زمن الحاكم بامر الله فكانت محتوية على امور شنيعة فمن بعد قتله سنة ٤١١ هجرية وجلوس ولدهِ علي الظاهر سلطاناً على مصر ومضايقته على عبدة ابيه وهدره دمهم قد حصل فيها تغييرات معتبرة وبهاء الدين اصغر الحدود الخمسة الذي عاش الى سنة ٢٦ من سني

حمزة الى سنة ٤٣٣ هجرية قد كتب رسالات متعددة شنع فيها على بعض تعاليم تشتكين الدرزي وما علم به دعاتهم كابن البربرية وسكين (بضم السين وفتح الكاف) من اباحتهم الاعمال القبيحة كما هو واضح في كتاب التوبيخات وبما ان الاشياء التي سلكت عليها هذه الطائفة بمدة الحاكم بامره قد تبدل فيها كثيراً بعد موته وهي مقررة في كتب التواريخ فلا حاجة للتكلم عليها هنا بل نكتفي بالكلام على ما قرَّ عليه الحال فيما بعد واستمر حتى يومنا هذا :

اعتقاد الدروز اولاً انه يوجد اله واحد قديم لا بداية له ولا نهاية موصوف بكافة الاوصاف الكمالية وهذا الاله خلق النور والظلمة فكان النور العقل الكلي وهو روح نبيه العظيم ورسوله الكريم حمزه بن علي ابن احمد هادي المستجيبين وكانت الظلمة روح الناطق ويسمونه ابليس اللعين ولهم في تفسير اسم ابليس تعليل مضحك وهو انه مركب من لفظتي اب وليس اي انه ولد زنا ليس له اب وانه من نور حمزه تولدت ارواح الاربعة حدود التوحيدية المار ذكرهم وتولد من ظلمة ابليس الديانات الاربعة وهم النصارى والاسلام واليهود والوثنيين ٠

ويعتقدون ان العالم قد خلق دفعة واحدة وان البشر خلقوا سوية وليسوا بمتناسلين من اب واحد بل من حين الخليقة وجد الحايك في نوله والبنا على الحائط الى اخره وان عدد انفس البشر لا يزيد ولا ينقص وكلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد يسمى ذلك عندهم الفرقة

والخلقة او التقميص معبرين عن الجسد بالقميص فكما ان القميص هو لباس الجسد يتغير ويبلى فهكذا الجسد هو لباس النفس يتغير ويبلى ويشبهون النفس بالسائلات التي تحتاج الى اناء يضبطها فاذا كسر لا بد من تلقى السائل في اناء غيره لئلا يهرق ويضيع وان سكان الارض انقضت ايامهم قبل ايجاد البشر منهم الجن والبن والطم والرم وغيرهم وانه مضى على البشر سبعون دوراً وكل دور منها ضمنه سبعون دوراً وكل دور منها سبعون الف سنة وذلك من ابتداء خلق البشر الى ظهور الحاكم بامره (يريدون بامره اي انه الحاكم بامر نفسه) البالغ ذلك ثلثماية واربعين الف الف سنة وان ظهور الحاكم كان في نهاية العالم الجسماني والمدة من زمنه الى الآن هي من زمن القيامة التي فيه ظهورها وان الاله حال كون ادراك ذاته ولاهوته بحواس الجسد الانساني امرٌ مستحيل واذا لم يظهر ذاته لمخلوقاته لئلا تكون له عليهم الحجة فلعدله قد اظهر ذاته للبشر في كل دور بواسطة الحجب الذي هو الجسد يكلمهم منه ويلزم ان يكون حجابه من اشرف مخلوقاته ولذلك قد ظهر لهم بصورة الحاكم بامره الذي هو ملك عظيم لان من وليّ على رجال كان له عقل الجميع وان الحاكم المذكور يحكم على الوف كثيرة فله عقل جميعهم ولا يصح ما زعمه موسى اذ سمع هفيفاً من الشجرة فقال كلمني الله وقال الله ومن ثم احترقت الشجرة فحاشا الباري تعالى من ان يتخذ لنفسه حجاباً ذاتياً كهذا ثم يحترق ويتلاشى فالاله قد ظهر لعباده في كل دور ودعاهم الى عبادته والاقرار بتوحيده ولم يعلموا من ظهوراته

سوى عشر مرات يسمونها بالمقامات فكان اولها العلي ظهر في مدينة هجر بصورة مكاري على الف جمل (بمقتضى القاعدة التي وضعوها كان عقله في هذا الظهور مثل عقل الف جمل التي يحكم عليها) ثم ظهر في الباز ولذلك الفرس يقولون بارخواي ثم المعل وعلي وابو ذكريا والمنصور والمعز والقايم والعزيز واخيراً ظهر في الحاكم بامره وهو نهاية المقامات وحين القيامه يظهر الاله بجسد الحاكم بامره دون غيره وهكذا الحدود النورانية والظلامية كانت تظهر معه في كل دور وسيظهرون يوم القيامة في اجسامهم التي كانوا بها في زمن الحاكم بامره وينكرون كون آدم هو ابو البشر وانه مخلوق من التراب بل يقولون ان اسمه حارت واسم ابيه ترماح وهو من النطقاء اي ابليس وله اساس يسمونه الشيطان فيلقبون آدم بالعاصي (وعندهم ايضاً آدم الكلي او الصفا وهو حمزه وآدم الجزئي وهو اسماعيل الملقب بالنفس) وكان اساسه شيت بعد مقتل هابيل وان حمزه في ذلك الزمن كان موجوداً واسمه سطنيل الحكيم واسم ابيه دانيل (ربما اخذوه من اسم سطانايل عند النصارى) وان الله قد امر آدم ان يسجد لسطنيل فلم يفعل فاخرجه من الجنة اي ابعده من علم توحيده لانهم يعتقدون بان الجنة هي ديانتهم التوحيدية وجهنم هي عبادة العدم التي يعبدها الخارجون عنهم لانهم يعبدون الهاً غير منظور وان الملائكة هم الدروز والخارجون عن معتقدهم شياطين وان الملائكة والجن المقول عنهم في كتب اليهود والنصارى والمسلمين لا وجود لهم

اصلاً اما روح آدم التي هي ابليس وروح شيت التي هي الشيطان قد انتقلتا الاولى منهما الى نوح والثانية الى سام ثم الى ابراهيم واسماعيل ثم الى موسى وهارون وبعد موت هارون انتقلت روحه الى يشوع بن نون ثم انتقلتا الى عيسى وبطرس ثم الى سعيد وقدّاح اما روح حمزة انتقلت في زمن موسى الى يثرون كاهن مديان ويسمونه شعيب وفي زمن عيسى الى يَسّوع (بفتح الياء وتشديد السين) وانه غير يسوع عيسى وهو مسيح الحق وهو اليعاذر واما ارواح الحرم الاربعة فكانت في الاربعة الانجيليين متى ومرقص ولوقا ويوحنا ثم يعتقدون ان يوحنا الانجيلي هوذات يوحنا المعمدان كأن الاثنين هما واحد ويسمونه ايضاً فم الذهب وهذا واشياء اخرى مقررة في كتبهم تدل على جهلهم بالتاريخ ثم في زمن محمد ابن عبد الله (صلعم) كانت روح حمزه في سليمان الفارسي وارواح الاربعة حدود في اربعة من الصحابة وهم المقداد وابو ذرّ الغفاري وعمار بن ياسر والنجاشي ثم في زمن الحاكم وقد تقدم بيانهم والدروز يعتقدون نبوة كافة قدماء الفلاسفة اليونان وان ارواحهم الحدود الخمسه التوحيدية وان اسكولايوس الذي يسمونه اشقلبيوس وفيثاغورس كانت فيهما روح حمزه واما التقميص عندهم يكون الانتقال من روح انسان الى الحيوان وبالعكس . هذا وان الله عندهم له اسم ومسمى ومعنى فان ذكر اسم الله فهو اسماعيل الملقب بالنفس وان ذكر المسمى فهو حمزه بن علي وان ذكر المعنى فهو الحاكم بامره (كما هو واضح في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد من كتاب الدروز)

ولذلك في مواضع كثيرة من كتبهم الستة يضعون اسم الله ويريدون به حمزه او اسماعيل وحمزه المذكور لم يكن عندهم بمنزلة نبي مرسل فقط بل يعتقدون انه علة العلل وانه الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق وبالجملة هو متصرف بالكون كاله إلا انه مخلوق وان الاله الكبير اي الحاكم بامره هو معل علة العلل وهو منزه عن كافة الاعمال وقد وضعها منذ الازل في يد حمزة وعلى يده يكون الحساب والثواب والعقاب وتقسيم الارزاق وتحديد الاجال الى غير ذلك مما هو متعلق بذات الباري تعالى وحده ·

ويعتقدون ان حروف بسم الله الرحمن الرحيم هي رجال حدود دعوة المختصين بحمزة وعددهم تسعة عشر رجلاً كعدد حروفها ولذلك في افتتاح كل رسالة من كتبهم يذكرها هكذا حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبده الامام او صفات عبده الامام فالقاعدة الكلية التي وضعها حمزه لاصول معتقداتهم هي ان يؤمنوا بما يكفر به سائر الامم حيث قال في رسالة الاعذار والانذار هكذا ان خير ما اقتنى للمعاد وادخر لخلاص النفوس من الذاد المبالغة في حسن الولاء والاعتقاد والثبات على ما كفرت به جميع الطوائف من العباد فقد اوحى اليّ سبحانه انها البغية منكم والمراد لتقوم بذلك الحجة على اهل الفسوق والعناد وهذه العبارة يحتمل معنى ان يثبتوا على شريعة حمزه التي كفر فيها سائر الامم كما يحتمل ان يعتقدوا بكلما ينكره سواهم ومما شرعه لهم حمزه المذكوران الشرائع الغريبة عنهم هي قسمان شرائع ظاهرة وشرائع باطنه واما شريعة حمزه فهي روحانية لا ظاهرة ولا باطنه وانهم في الحجة الوسطى

وان فضل الاشياء اوسطها وسمي الشرائع الظاهرة والباطنة الغريبة عنهم بالغائط او البول وان اواضعيهما الناطق والاساس هما القبل والدبر وان الشريعة الظاهرة هي من وضع الناطق الذي هو ابليس والباطنة من وضع الاساس الذي هو الشيطان يريدون بذلك الخارجين عن مذهبهم ولذلك كانت العبادات التكليفية التي وضعها المذكوران مرفوعة عنهم واركانها سبعة وهي الصوم والصلاة والحج والزكاة والنحر والولاية وجناز الموتى وانهم لا يلتزمون بشيء منها وان حمزة قد عوضهم عنها بسبعة دعائم توحيدية وهي اولاً صدق اللسان ثانياً حفظ الاخوان ثالثاً ترك ما كانوا عليه ويعتقدونه من عبادة العدم والبهتان رابعاً البرأة من الابالسة والطغيان خامساً التوحيد لمولاهم الحاكم في كل عصر وزمان ودهر واوان سادساً الرضى بفعله كيفما كان سابعاً التسليم لامره في السر والاعلان

﴿ من رسالة بدو التوحيد ورسالة ميثاق النساء ﴾

ومع اعترافهم بفضيلة الصوم وانها تُضعف شهوات الجسد الخبيثة فلا يجوزون صوم شهر رمضان لكونه من وضع الخارجين عن مذهبهم فيصومون في غير هذا الشهر ما يختارونه من الشهور والايام والعدد ويعتقدون ان للديانة زمن كشف ينبغي فيه اظهارها وزمن ستر ينبغي فيه اخفاؤها ففي زمن الحاكم بامره الذي هو زمن الكشف الاخير قد امتدت الدعوى لعبادته في جميع المسكونة فمن آمن كان من اهل الخير

وكتب من الفائزين ومن لم يؤمن او ارتد بعد الايمان كان من اهل الشر وكتب من الخاسرين وان بعد غيبة الحاكم بامره واحتجابه عن الناس (لانهم ينكرون موته قتيلاً) انتهى زمن الكشف وابتدأ زمن الستر وآمن من آمن وكفر من كفر وقفل الباب اي باب الايمان ولم يقبل الايمان من احد فيما بعد فاذا مات احد الفريقين فيولد ثانية في المذهب الذي مات عليه حتى ولو اطلع الانسان على كتبهم وعرف ديانتهم واعتقد صحتها وسلك بموجبها فلا فائدة له من ذلك بل حين موته ترجع روحه الى مذهبه القديم وبناءً على معتقدهم هذا لا يقبلون دخول احد في مذهبهم ولو ان شخصاً انتقل من مذهبهم الى غيره او من غيره اليه وثبت في المذهب المنتقل اليه هو واولاده فيحكمون عليه بانه اتى من زنا رجل في امه كان من اهل المذهب المنتقل اليه

والدروز ينقسمون الى عاقل وجاهل فالعاقل هو العامل بموجب شريعتهم والجاهل هو المتمرد على الشريعة ويترجون رجوعه بالتوبة مادام حياً واذا مات على حالة الجهل فيحكمون بتعسه ونحسه الى الابد حيث بعد ولادته ثانية لا تمكن توبته بل في كل دور يموت بحالة الجهل ولما يدخل الجاهل منهم في طريقة العقال يكتبون عليه صكاً يسمونه ميثاق وليّ الزمان قد شرطه عليهم حمزه ويعتقدون ان المواثيق التي اخذها حمزه على المستجيبين منهم لدعوته جميعها محفوظة في اهرامات مصر لكي بعد رجوعه يطالبهم بمضمونها واما الذي يصير عاقلاً من جهالهم ولو قبل

موته يوم واحد فهذا يحكمون عليه بانه كان من العقال في حياته السابقة وبسبب بعض هفوات صدرت منه قد سمحت ارادة حمزه ان يعيش مدة في حالة الجهل تأديباً له وكفارة عن سيئآته وهكذا يقولون على ذوي العاهات والمصابين بامور الدنيا كالاعمى والاعرج والفقير والجاهل ان مصابهم هو قصاص عن ذنوبهم في مدة حياتهم السابقة ويحتجون بذلك على النصارى فيما ورد بالانجيل حينما سأل الرسل السيد المسيح عن ذاك الاعمى هل هو اخطأ ام ابواه حتى ولد اعمى ومن المعلوم اذا كان اصيب بالعمى وقت ميلاده لخطيئة سبقت منه فذلك يستلزم وجوده قبل ميلاده ويعتقدون ايضاً ان ايليا النبي هو يوحنا المعمدان وان المسيح اي حمزه اخبر عنه في انجيل متى ص ١١ بان يوحنا هو ايليا ويجعلون هذا برهاناً على التقميص وهكذا يجعلون الغني والعالم والجاه انما استحقوا ذلك مكافأة لهم لفضيلة سابقة ويعتقدون ان من رحمه العقّال عند موته وشهدوا بفضله فاز بالنعيم وإلاّ فلا ولذلك بعد دفن الموتى عندهم يجتمع العقّال بالقرب من قبر الميت ويتذاكرون في امره وهل انه يستحق الرحمة فيرحمونه وإلاّ فلا وانهم يصدقون من الانجيل والقرآن ما يوافقهم منهما زاعمين ان حمزه هو الذي كان مع عيسى تحت اسم يسوع ومع محمد (صلعم) تحت اسم سليمان الفارسي وقد كتبهما مع اصحابه الاربعة المار ذكرهم وما لم يوافقهم ينبذونه ظهرياً ويدعون انه تزوير من علماء النصارى والمسلمين وبعض الايات الممكن تاويلها يحرفونها

الى المعاني الموافقة لاغراضهم بتفاسير لا يقبلها العقل ولا الذوق السليم ولنذكر هنا شيئاً من تفاسيرهم انه ورد في الانجيل هذه الاية (تحرزوا لانفسكم من الانبياء الكذبة الذين ياتونكم باثواب الحملان ومن داخلهم ذئاب خاطفة) التفسير ان الانبياء الكذبة هم ايمة الشريعة النصرانية اللابسون اثواب الصوف وقد ورد في القرآن الشريف (انما الخمر والميسر والانصار والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) التفسير ان الاربعة المنهى عنها هم ايمة الشرائع الاربعة المحكى عنهم فترى اكثر تفاسيرهم لاصلة لهابين الدليل والمدلول عليه حتى انهم يذكرون كلمات بالفارسية يزعمون انها صادرة من سليمان الفارسي ويترجمونها بالعربية ولا وجود لها لا في اللغة الفارسية ولا في غيرها من اللغات المعروفة بل هي من قبيل الخلط والهذيان كقولهم (كريديو بكر ديوهق ميزه بترديو) ويفسرونها هكذا علمتم فعلتم حتى غلبتم وادعيتم بما ليس لكم وهكذا في الرسالة المسماة حقائق الهزل يفسر ركوب الحاكم بامره على الحمير اشارة لهدم شرائع النطفاء كمحمد (صلعم) وعيسى وموسى حيث قال في القرآن الشريف الآية (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) يريدون بذلك انهم الحمير وشرايعهم هي اصواتهم ثم الرقص وضرب المقارع وذكر الاحليل والفروج التي كانت تجري لحضرة الحاكم بامره يفسرون ذلك في رسالة حقائق الهزل لانها اشارات سرية وامور حكمية منه تعالى اي من الحاكم بامره بان الرقص يشير الى تعاليم عيسى ومحمد وموسى بكونها توجع ولا تنفع وان ذكر الاحليل والفروج هو لحكمة بالغة تظهر

بعد حين على انه كما يقوى الاحليل على فرج الامرأة ويقهره هكذا دين الحاكم بامره يقوى ويغلب دين المشركين . واما ما يتهمهم به الغير من عبادة العجل (١) واباحة الزنا او كون ان الواحد منهم يتزوج باخته او بابنته فهذا لا اصل له وهو افتراء وكذب فزيجتهم لا تكون باقرب من الدرجة الرابعة اي ببنت العم وبنت العمة وبنت الخال وبنت الخالة ولا اقرب من ذلك وربما الحامل على هذه التهمة ما يرى في بعض تعاليمهم من حقوق الزوجة على بعلها عند ما يقول انه تزوج المؤمن باخته المؤمنة الى اخره فمن المعلوم ان المراد بذلك ان المؤمنين اجمعهم اخوان مجازاً ويوجد مثل هذه الالفاظ عند النصارى والمسلمين يستعملونها مجازاً نظير استعمال الدروز لها ويجب عند الدروز تساوي درجات الزوجين بالعلم والمقام فلا يجوز اقتران الامرأة المتدينة بالرجل الجاهل إلاَّ اذا كان متدين ولا يجوز عندهم ظهور النساء سافرات الوجوه امام الاجانب ولا تعدد الزوجات انما يصح عندهم الطلاق والمطلقة لا يجوز ارجاعها مطلقا وعندهم التسمية بين الزوجين في كل شيء ولكل منهما الحق في الطلاق من الاخر بعد الفحص من جمعية شيوخهم فان كان الطلاق بدا من الرجل بوجه التعدي على زوجته فلها الحق ان تاخذ منه نصف ملكه وان كان سبباً منها فللزوج ان ياخذ منها نصف ما تملكه هي وشروط الزيجة

---

(١) ان بعض الناس يتهمون طائفة الدروز بعبادة العجل والخضوع اليه والذي رأيناه انه ليس بمعبودعندهم

عندهم ان الرجل ينصف زوجته من نفسه ومن ماله بان لا يبخل عليها بشيء حسب احتمال حاله وان لا يحملها من الاشغال ما لا طاقة لها عليه وان يترك لها وقتاً للراحة والتفرغ للعبادة واكثر نساء الدروز يتعلمنَ القراءة والكتابة خلافاً لعادة الشرقيين الذين يجتهدون بعدم تعليم للبنات شيئاً من ذلك توهماً منهم بان القراءة والكتابة تفسد ان طباعهنَّ وان الدرزي لا يجوز له بان يجامع زوجته باكثر من مرة واحدة في كل شهر عقيب طهرها من الحيض واذا مضى الشهر ولم تطمث فلا يقترب اليها خوفاً من ان تكون حاملاً فيجب تركها مدة الحمل ومدة الرضاعة سنتين وسنة اخرى بعد الفطام لراحتها اذ القصد من الزيجة عندهم ايلاد البنين فقط لا اقتضاء الشهوة ومتى صار للرجل من زوجته اربعة اولاد ذكور اذا كان غنياً او اثنين اذا كان فقيراً حتى لا يكون ضيق عليه في تقديم لوازم المعيشة فيجب عليه حينئذٍ ان يبتعد عن زوجته بقية العمر لكي يتفرغا للعبادة فهذه الشروط هي ملخص ما ذكره الامير عبد الله التنوخي في شرحه على احدى رسائل حمزه المختصة في زيجة الموحدين المسماة شروط الامام ومن ذلك يعلم ما عند هذه الطائفة من العفاف بوجه يفضلون فيه عن سواهم واذا اعترض احد بان كثيراً منهم لا يقف عند هذه الحدود فالجواب ان ذلك لا يقدح في شريعتهم هذه اذ ما يفعله اولئك انما هو تعدٍ عليها وكانوا يستبيحون شرب الخمر لزمن الامير السيد عبد الله المقدم ذكره حتى

ارسل ابن سباط (١) لمصر وقرأ ما كان مكتوباً على جدران الحاكم بامره وفحص عن اشياء كثيرة منها تحريم الخمر وان الحاكم المذكور قد قطع كروم مصر كيلا يعصرون منها الخمر حينئذ نادى الامير السيد بتحريمه فامتثلوا امره وعلى الخصوص بسبب اعتقادهم بانه متقمص فيه نصر بن فتوح احد دعاة الحاكم بامره وهو الذي نمّق شريعتهم وله فيها مؤلفات وشروحات كثيرة وقبره موجود في قرية عبيه في غربي لبنان ومن المهم عندهم حفظ القناعة والاحتشام بمأكولاتهم ومشروباتهم وملابسهم فالعاقل منهم لا يشرب الدخان ولا التنباك ولا خمر ولا المسكرات ولا يتنشق النشوق الا بالنادر وشوهد ان بعض اجاويدهم يمتنع عن اكل اللحوم والفواكه الطرية مدة السنين الكثيرة ويعيش على الخبز الناشف والزبيب ولا يحلقون شعور لحاهم اذ تربية شعر اللحا عند الشرقيين من سنن الكمال ولا يلبس العاقل منهم لا حريراً ولا شيئاً مبرهجاً او منقوشاً بل كساويه من الاشياء القليلة الثمن ففي السابق كانوا يلبسون على رؤوسهم طاقية من الجوخ الاحمر ويلفون عليها قماشاً ابيض على شكل قرطليّ يسمونه طابية والآن لم يبقَ من يلبس هذا الشكل الا القليل النادر اولئك الذين يتوحدون في خلواتهم المنفردة عن البلدان ويسمونهم خلواتية او اجاويد وقد صارت الآن عمائمهم من الخام الابيض يضعونها على طربوش احمر اعتيادي الا انهم يقطعون طرة

(١) ابن سباط هو لقيط لم يعرف له ابًا قد رباه الامير السيد عبد الله المذكور

الحرير الكحلي التي توجد عادة في الطربوش واما اثوابهم فهي القميص من الخام او الكتان المصري وسروال تحت ثيابه من الخام وفوقهما قفطان من قماش الخام ايضاً ولونه اما ابيض نقي واما كحلي وفوهة اكمامه مطبوقة ويشد وسطه بمنطقة من الخام الابيض وفوق ذلك عباءة من الصوف ضيقة وقصيرة الى تحت الركبتين واكمامها لحد المرفقين مخططة باقلام احدها اسود والآخر ابيض عرض كل منهما نحو قيراط واذا خرج للاجتماع بالناس او لمقابلة ذوي المهابة فيلبس فوق الكسوة المذكورة عباءة سوداء تستره ويلبس في رجليه نعلين من السختيان الاحمر والعقال المتورّعون الذين يسمونهم غالباً اجاويد يعملون لهم مناسكاً يبنونها بعيداً عن البلدان التي هم بها بنحو مسافة نصف ساعة وغالباً يكون بناؤها على مرتفع ينفردون فيها اكثر الايام ليلاً ونهاراً ولا يدخلها النساء الا نادراً بقصد الزيارة او التبرك من ذاك المتوحد ويسمون هذه المناسك خلوات وقد يوجد خلوات متعدّدة لجملة اشخاص بالقرب من بعضها حتى تكون كقرية صغيرة يقيمون عليهم شيخاً منهم واعظمها واشهرها خلوات البياضة وهي على سطح جبل فوق قرية حاصبيا تزيد عن ستين خلوة قد نهبتها العساكر المصرية في محاربة المغفور له ابراهيم باشا مع الدروز سنة ١٨٣٨ مسيحية واخذ منها كتباً كثيرة بواسطتها امكنه الاكتشاف على جميع مكتومات ديانتهم وتحقق ان لا صحة لما يتهمهم به الغير من القبائح المنسوبة اليهم وهذه

الخلوات لعظم اعتبارها عندهم يأتي اليها ويقيم بها كثيرون من اجاويدهم من جهات مختلفة والمنشورات (جمع منشور) التي تصدر باوامر من جمعية سكان هذه الخلوات لاية جهة كانت من بلاد الدروز تقابل بالتكريم والامتثال والاجاويد اذا سافروا من مكان الى اخر فغالباً يمشون على ارجلهم وبيدهم عصاة يتوكأون عليها بقصد التقشف الا اذا كان المحل المتوجهون اليه بعيداً جداً او اذا كان ذلك الجويد عاجزاً فيركب غالباً على اتان لا على حمار والغالب يعتمدون اللون الابيض لان الحاكم بامره كان حماره الذي يركب عليه ابيض ويسميه القمر واما رغبتهم في ركوب الانثى دون الذكر هو لاظهار المسكنة والتواضع ويمتنعون ظاهراً (١) من اكل المال الحرام فلا يأكلون في بيوت الحكام ولا في بيوت اتباعهم ولا عند المرابي ولا المكاس ولا القسوس لكونهم ياخذون مال الموتى بالغصب ولا يطعمون دوابهم من عند المذكورين فيحرم استعمالها حتى تاكل مالاً حلالاً ولا يجوز ان يشتروا طعاماً او كسوة بمال مأخوذ من هولاء الاشخاص ولو كان اجرة اتعابهم او ثمن مبيوعاتهم واذا وصل اليهم مال من اشخاص هكذا فينفقونه في ثمن صابون او صباغة ثياب كانه في اشياء غير ضرورية للمعاش او يدفعونه الى الحكام فيما يطلب منهم من الاموال الاميرية او مال المكس او الجريمة واكثرهم من يحلل البدل كما

---

(١) قلت ظاهراً لانه شوهد منهم في وقت بطشهم استباحة مال الغير في اي وجه امكنهم التعدي فيه .

لو باع شيئاً لشخص ماله حرام فيقبض الثمن ويبدله من تاجر او فلاح بمثله من المال الحلال وحينئذٍ يشتري لوازم فيما اخذه فيكون حلالاً وهذا العمل من خرافتهم واذا رجل منهم ارتكب جريمة فاعظم قصاص يحكمون به عليه تحريمهم ارزاقه وحينئذٍ يمتنع جميع العقال من الدروز عن مواكلته وهذا يقرب من الحرم عند النصارى واليهود واكابر الدروز اصحاب المضافات غالباً يعلمون في بيوتهم مصروفين احدهما حلال يقدموه للعقال والاخر حرام يقدموه لغير العقال واما كلامهم ومخاطباتهم مع الجميع فهي بكل رزانة وتأدب ولا يخرج من افواههم كلمة سفيهة او خشنة لا شتيمة ولا لعنة ولا مسبة ولا حلف ولا يذكرون بافواههم لا اسما ولا فعلاً قبيحاً واذا اضطروا للتعبير عن شيء قبيح فيجتهدون بان يوردوه بالكناية بالفاظ اخرى محتشمة تفهم بالمقصود ودائماً يقدمون التكريم لكل من يتحدثون معه ولو من اعدائهم ولا يسمع منهم كلمة مهينة بحقه ويظهرون الغم والاسف على مصيبة غيرهم عندما يطراء ذكرها امامهم ويتظاهرون للجميع بالمحبة والنصح وهذا خلاف مافي عقايدهم حيث وجد في كتبهم ما يضاد ذلك اذ يذكرون الافعال التي تخرج فاعلها من الدين التوحيد وعددها ٧٢ قضية منها الظن بان المصيبة الواقعة على الاجنبي بانه من اهل الخير او ان يرى مصيبة قريبة الوقوع عليه ويحذره منها اويحبه من قلبه او يستظرفه وهلمّ جرّاً واذا عاشروا المسلمين فيدعون انهم مسلمين او النصارى فيدعون انهم اقرب الناس اليهم وانهم يعيشون ويموتون على شريعة المسيح

الحق‌ٍ ويضمرون في ذلك ان المسيح هو صاحبهم حمزه بن عليّ وهذا هو من باب التقية وهم مأمورون من اصل الشريعة ان يبالغوا في كتمان دينهم ويتظاهرن بحسبما تقتضيه الاحوال بدعواهم ان الجوهرة الثمينة يجب اخفائهما عن اعين من يجهل قيمتها ٠

قد تقدم الكلام على ان حمزه قد رفع عنهم الشرائع التكليفية السبعة وعوضهم عنها بسبع فرائض توحيدية فلما رفعه عنهم الصوم والصلاة وعوضهم عنهما بصدق اللسان وحفظ الاخوان ولكن هذا الصدق لا يلتزمون به الاَّ للموحدين العقال منهم دون الجهال كما يتضح من الرسالة المسماة بالجزء الاول من السبعة اجزاء عند ما يتكلم على صدق اللسان وحفظ الاخوان و كونهما فرضين توحيديين بدلاً عن الصوم والصلاة بانه لا يجوز الصدق للاجانب الاَّ فيما لا يضرهم او لاقتضاء الحال لمصلحة تنفعهم لا سيما اذا كان عندهم ديناً او وديعة للاجنبي بلا بينة ولا شهود ولا سيما اذا قتل احدهم رجلاً من عالم السواد (اي الخارجون عن مذهبهم) فاقراره بالاولى يلزمه تأدية ما عنده و بالثانية يقتلونه وهكذا لو سئل عن قضية من موحد بحضرة البعض من عالم السواد فلا يلتزم بالصدق لذلك الموحد الاَّ بعد ذهاب الشيطان (اي الخارج عن مذهبهم) من بينهم وحيئذٍ يرجع ويخبر اخاه الموحد بالحقيقة وبالاختصار لا يلتزم بالصدق ولا بشيءٍ من اعمال الخير والرحمة لغير الموحدين إلاَّ عند الضرورة حينما يرجع نفعه عليه فمن الشرح المتقدم يعلم استباحتهم للسلب وقتل مخالفيهم اذا لم يكن في ذلك ضرراً عليهم ولا يليق عندهم ذكر النساء في مجالس

الرجال ومع زيادة تأدبهم مع نسائهم والتلطف بهن فيما بينهم فاذا اضطر احدهم ولو مرة لذكر احدى النساء في محادثه فلا بد ان يقدم على ذكرها الكلمات التي جرت العادة بها عند العرب بتقديمها على ذكر الاشياء الحقيرة او النجسة التي لا يليق ذكرها امام السامع كما لو اضطر ابن العرب لذكر كنيف او جيفة فلا بد ان يقدم على ذكرها هذه العبارة اجلكم الله فهكذا اذا اراد الدرزي ان يذكر امرأة امام رجل اخر ولو كانت اخته او ابنته او زوجته فيقول اجلكم الله فلانه كذا ويستثني من النساء الام والجدة والعمة والخالة فيقول عنهن امام من يساوي المتكلم بالمقام داعيتك والدتي او جدتي الى اخره واما من كان اعلى مقاماً من المتكلم يقال جاريتك او عبدتك والدتي ام جدتي الى اخره والنصارى القاطنون بينهم ام بالقرب منهم يسلكون نظيرهم بهذه الالفاظ واما نساء الدروز فغالباً هن من العاقلات وقلما يكون منهن جاهلات وملابسهن القميص والسروال والقفطان فوقهما ذو لون واحد كل قطعه منها لا جميعها اما ابيض واما كحلي واما اخضر واما ازرق واما بنفسجي لا احمر ولا اصفر ويلبسن على رؤوسهن طرطوراً يسمونه طاسة من صفيح الحديد لا من الفضه ولا من الذهب اما من ورق الكرتون ملصوق على ظاهره قماش مشغول بقليل من القصب النحاسي او الفضي ويسمونه ذَرْبَة طول هذا الطرطور نحو ربع متر فرنساوي ويسترونه مع رؤوسهن بمنديل من قماش القطن الابيض واذا خرجن الى الجامع فيأتزرن بمآزر على وسطهن يستر نصفهن الاسفل يتخذنه من

قماش القطن بلون كحلي مصقول ولا يلبسن شيئاً من الحلي سوى الاساور الخشنة في ايديهنَّ من الفضة او النحاس الاصفر مع العاقوص الذي هو ثلاثة حبال رفيعة مصنوعة من الحرير ذات لون بنفسجي يجدلن فيها شعورهنَّ وفي طرف كل حبلٍ منها طرة من فتلات الحرير الرفيع مجموعة في زر من الفضة واذا ظهرت النساء لمواجهة رجل اجنبي فيسترنَ وجوههنَّ بطرف المنديل الذي على رؤوسهنَّ ويظهرنَ العين الواحدة مع قمة الحد التي تحتها فقط وكلامهنَّ هو بغاية اللطف والاحتشام وغالباً هنَّ ذوات عفاف اكثر مما عداهنَّ والجاهل عند الدروز يحسبونه اشر من اليهود والنصارى والمسلمين فلا يجوز الترحم عليه بعد موته ويدعونه مرتداً ولا يطلعونه على كتبهم ولا يحضر ابداً في جمعياتهم الدينية واذا كانت زوجته من العاقلات فلا تخاطبه بشيء من امور الديانة ولا تطلعه على شيء منها وتخفي كتبها عنه ضمن صندوق مقفول ولمعرفته ان اطلاعه عليها حرام فلا يعارضها بذلك غير ان الجهال منهم يفقهون اطراف شريعتهم كالاعتقاد بالوهية الحاكم بامره وامامه حمزه والاربعة حدود والتقميص والعلامة السرية التي يجعلونها بينهم لمعرفة بعضهم البعض وقبل افتضاح كتبهم في حروب المصريين كانوا اذا اشتبهوا في رجلٍ هل هو منهم ام لا فيسألونه هل الفلاحين في بلادكم يزرعون حب الاهليلج فان اجاب نعم هو منزرع في قلوب المؤمنين فيتضح عندهم بانه منهم وربما كان من الجهال وحينئذٍ يسألونه عن اسماء الحدود ومراتبهم حتى يتحقق لهم

حاله وان اجاب بغير ذلك علموا انه اجنبي وربما غيروا هذه العلامة بعد اكتشافها واما سياستهم فلهم في كل بلدة مكان للاجتماع يسمونه مجلساً او خلوة يجتمع اليه العقال من الرجال و النساء دون الجهال في كل ليلة جمعة نحو الساعه اثنين بعد الغروب وتكون مدة اجتماعهم ساعتين او ثلاث ساعات ويتهمهم الناس بانهم يسالخون فيه على الظلام وربما وقع الرجل بامه او اخته الى غير ذلك وهذا لا اصل له والحامل على هذه التهمة هو شدة التستر الذي يسيء الناس بهم ولنوضح ما هية اجتماعهم فنقول ان الامور الدينية والسياسية عند الدروز هي غير ممتازة عن بعضها فالسياسة عندهم من الدين فيمزجون اعمالها في اعماله ولذلك رتبوا في كل قرية مجلساً خصوصياً ثم في القرية العظمى من ذاك القضاء يكون مجلسٌ عامٌ ترفع اليه قضايا مجالس القرايا التابعة له ثم هذه المجالس العامة ترفع قضاياها الى مجلس قرية بعقلين في جبل لبنان قبل عمار دير القمر قاعدة لبنان في عصرنا وسبب اهمال الاول عدم وجود الماء في تلك القرية الاَّ الابار التي تجمع ماءً من الامطار فكل قرية ترسل عمدة من طرف مجالسها الى مجلس القضاء العام في كل ليلة جمعه ليحضر الجمعية ويرجع ولا بد ان يكون العمده من العقال المتعمقين في الديانة وهولاء يدعونهم اجاويد لجودتهم عندهم وهكذا تفعل مجالس القضاوات العامة فكل مجلس منها يرسل عمدة الى مجلس بعقلين يحضر الجمعية وفي الجمعية التي تليها يرسل غيره فالمجلس يجتمع اليه كل عاقل وعاقلة سواء كانوا من الاجاويد

او خلافهم من العقّال ويضعون حاجزاً بين الرجال والنساء من قماش او خشب مما يمنع النظر اليهنَّ عن استماع الكلام فاول ما يبتدون به في جمعياتهم هو تقرير الاجناد من اولاد البلدة والعمد الواردين من المجالس الاخرى عما سمعوهُ من الحوادث عن الحاكم وعن الاهالي في محلاتهم وفي المدن وعما وردت به الاخبار من الجهات وبعد هذا يقرأ الشخص المعين للقرأة من ذوي الاصوات الحسنة شيئاً من كتبهم الستة مرتلاً بالالحان كالمسلمين في تلاوة القرآن ويردف ذلك في بعض شروحات على ما قرأه ويختمون ذلك في انشاد بعض قصائد او موشحات في بعض قصائدهم من بعض شعرائهم يسمونها عسكريات تتضمن الحدود الخمسة من الصين بالعسكر الجرار لاهلاك النصارى والمسلمين يترغون فيها وغب ذلك يحضرون شيئاً من الفاكهة اذا كان وقتها والافشيئاً من التين الناشف او الزبيب مع الجوز والحمص (المقلي) ثمنها من الوقف المختص بالمجلس فيأكل الحاضرون وبذلك تنتهي الجلسة الاولى وتنصرف النساء كافة واكثر الرجال الذين ليسوا من درجة الاجاويد ينصرفون ايضاً ويبقى اجاويد البلدة مع القادمين من المجالس الاخرى وحينئذٍ يقرر القادمون الامور المهمة التي بلغت مجالسهم وتذاكروا فيها مما يتعلق بامور السياسية ولا يسوغ اطلاع العموم عليها وحينئذٍ يبدون ارائهم فيما يلزم من التدابير المقتضية سواء كان للانتقام من شخص ام من طايفة ام لعزل حاكم ام للعصيان عليه ام للاتفاق مع فرقة اخرى ام للانفصال عن اخرى ام لارسال اناس لقتل عدوٍ

لهم ام لقطع طريق ام لنهب بلدة الى غير ذلك من الامور السياسية وحينئذ ينفض المجلس من الاعمال والمعتمدون يرجع كلٌّ منهم الى بلدته ليقرر لارباب مجلسه في الجمعة القادمة ما عرضه ذلك المجلس من الاعمال ومن الحوادث التي تقررت فيه ومن التدابير التي قرَّ عليها رأي الاجاويد فهذا الترتيب هو في ايام الراحة واما في ايام الفتن فتكثر اجتماعتهم ليلاً ونهاراً فبهذا تكون امورهم مرتبطة كانهم عائلة واحدة وجميع الحوادث والتدابير معلومة عندهم جميعاً هذا وانهم يبذلون غاية الاهتمام والتيقظ في استحكامات كافة امورهم ومهماتهم وبحسب ما يتضح من تصرفاتهم وتدابيرهم وسبب وجود طايفة الدروز في سوريا هو انه بمدة سلطنة الحاكم بامره في مصر كانت سوريا خاضعة لسلطنته وكان يحكم جهة الغرب من جبل لبنان امراء من آل تنوح يتصل نسبهم في ابن ماء السماء اللخمي يقيمون في قرية عبيه وبناياتهم لم تزل آثارها باقية الى الآن في القرية المذكورة تحت اسمهم فعند ما خص دعاة حمزة الى قيسارية فيلبس المسماة الآن بانياس قبلت فيها دعوتهم وعبدوا الحاكم بامره واتصلت الدعوة بامراء آل تنوح الذين تقربوا الى الحاكم بامره باشهارهم عبادته فصارت لهم سطوة قوية على الرعايا وتابعهم البعض على ذلك اما للرغبة واما للرهبة بطريق الاستغفال وفي مدة ثلاث سنوات انضم كثيرون الى هذا المعتقد في لبنان وفي انتيلبنان (وادي التيم) لعدم تثقفهم في ذلك الزمن لان المدعو سكين الذي حضر لبلاد

راشيا واقليم البلاَّن الذي من الجهة الشرقية من جبل الشيخ حرمون قد سلك مسلكاً قبيحاً وعلم تعليماً خبيثاً اباح فيه المنهيات التي تأْباها النفوس الشريفة حتى انتهى امرهُ اخيراً لقتله والانكار الى ما علمه وعمل به كما يتضح من رسالة الشيخ المقتني الذي هو بهاء الدين الحد الاصغر المتقدم ذكره المسما توبيخ العاجز سكين ثم ان اخت الحاكم بامره في مصر المسماة ست الملك (سيدة) دبرت امرًا على قتل اخيها الحاكم بامره وذلك انها ارسلت رجالاً تعتمد عليهم بقيادة ابن دوَّاس سنة ٤١١ هجرية الى مكان في جبل المقطم يقال له مقصبة حلوان كان يتردد اليه الحاكم بامره منفرداً في كل ليلة جمعة راكباً على حماره الابيض المدعو القمر فغدروا به وقتلوه بضرب الخناجر طعناً وقد شوهدت اثارها فيما بعد وعروه من ثيابه واخفوه ثم قفلوا ازرار ثيابه وهو لابسها وتركوها هناك مع حماره الابيض ولما ابطاء رجوع الحاكم الى قومه فتشوا عليه فوجدوا الحمار ثم الثياب في الموضع المذكور فقالوا انه غاب غيبة الامتحان لكي عند رجوعه ثانية يثبت من ثبت منهم على الايمان ويعاقب من ارتدَّ وجعلوا وجود ثيابه مقفولة الازرار من جملة معجزاته الالهية بانه تخلص منها وهي على هذه الحالة والحال لا اعجاز في ذلك بالنسبة اليهم مع اعتقادهم ان جسم الحاكم لم يكن كاجسام البشر بل كان لطيفاً ينفذ من الحائط ولا يصدعه وانه كالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده وان هذا المعنى في القرآن الشريف يشير اليه ثم الدروز لا ينكرون مشاهدة اثر ضرب الخناجر في

اثوابه ويجعلون ذلك من الرموز السرية التي يشير اليهم بها عن امور اخرى وقد ذكر ذلك مؤرخهم الديني الشهير بابن سباط في قصيدته الميمية المخمسة وتوجد ايضاً في مصنفاتهم . ولما اشتهر فقد الحاكم بامره وجدوا سجلاً معلقاً على باب القرافة بالقاهرة ويظن ان حمزه قد كتبه وعلقه خفية وهذا السجل هو اول رسالة يضعونها فاتحة اول كتاب من كتبهم الستة المسمى بالسجل او بالسير (جمع سيرة اسم رسالة يسمونها السيرة المستقيمة مشحونة بالتخليط والهذيان يضعونها قرب نهاية الكتاب الاول) وبعد ظهور موت الحاكم بامره كان له ولدان وهما عليّ ومحمد والدروز لا ينكرون كونهما ولديه إلا في ظاهر الحال وانهما بالحقيقة ولدا زنا ارتضى الحاكم بامره ان يفهم الناس كونهما ولديه لحكمة فايقة يعلمها هو وانه سبحانه لم يلد ولم يولد فتولى على السلطنة وتلقب بالظاهر ولكي يستجلب رضى المسلمين الذين كانوا مع النصارى واليهود في ضيق من جورابيه قد رفض كلما كان يدعيه ابوه ويعلم به حمزه واصدر اوامره بالارتداد الى دين الاسلام وهدر دم من لم يرتجع عن مذهب حمزه وبذلك أُهلك من الدروز خلق كثير ومن لم يرتجع عن مذهب حمزه ولم يدركه سيف عليّ الظاهر هرب الى بلاد الشام وتوطن في بلاد التيم انتيلبنان ولذلك في دمشق الشام يسمون لدروز تيامنة نسبة لوادي التيم وفي دمشق يوجد محلة باسمهم خارج المدينة تسمى حارة التيامنة وبعض النصارى والمسلمين يتوهمون ان التيامنة هم غير االدروز وهذا غلط والدروز يزعمون ان علي الظاهر عند ما تولىَّ السلطنة

في مصر بعد غيبة الحاكم قال لحمزة اعبدوني كما عبدتم ابي اجابه حمزه ان سبحانه مولانا الحاكم بامره لم يلد ولم يولد قال له علي فاذاً انا واخي محمد ولدا زنا اجابه حمزه انت قلت وعلى نفسك شهدت فاستشاط غيظاً واباح قتل الموحدين (الدروز) ثم بعد ان سكنوا الدروز في وادي التيم امتدوا الى جبل الشوف في لبنان والى العرقوب والى الجرد الى المتن فجملة قرايا نواحي دمشق فالجبل الاعلى بالقرب من مدينة حلب فبلاد صفد وجبل الكرمل فبعض قرايا هناك وفي الجيل الماضي بسبب وقوع الغلبة من القيسية على اليمنية في لبنان ارتحل بعض اليمنية منهُ وسكنوا في جبل حوران وفي هذا الجيل تقوّى امرهم لانفرادهم فيه ولضعف المسلمين والنصارى في جوارهم ولكونهم قريبين من ارض اللجاة العسيرة المسالك والحكومة لضعفها عن مقاومتهم ولاهمالها عن تطويعهم ولعصيانهم وقت المحاربة داخل اللجاة فغالباً ترتد عساكرها بدون نصرة وترتضي منهم بظاهر الطاعة ولذلك على الدوام يزداد عددهم واموالهم وشوكتهم سنة فسنة ويهرع اليهم ابنا جنسهم من كل جهة ضاق فيها معاشهم حتى لم تعد قرايا جبالهم ترضيهم وحدها لتوسع غنامهم فازلوا جيرانهم من المسلمين والنصارى وضبطوا من ايديهم قراياهم التي في السهول والحكومة لا تنظر في ذلك مع كونها لو شاءت واحسنت التدبير فبكل سهولة يمكنها ادخالهم تحت نير الطاعة لاننا نرى ولاة الشام قبل الحكومة المصرية لم يكن عند الوالي منهم اكثر من خمسماية خيال من العساكر الموظفين وكانت احكامهم نافذة المفعول وفي جميع جهات الايالة ترتعد الاقوياء

من سطوتهم والدروز على الدوام يترقبون ظهور الحاكم بامره ثانية وبصحبته الخمسة حدود الكرام ويزعمون وجودهم منذ الغيبة في بلاد الصين الجواني وراء السد في كتب عندهم وغير معتبرة عند جغرافي عصرنا الذين طافوا جميع سطح الكرة ولم يرونه الاَّ اذا كان المراد فيه حائط الصين المشهور الذي ليس له من صفات السد المزعوم ويعتقدون ان سكان الصين جميعهم دروز وهم الاسباط التي تاهت من بني اسرائيل وانهم قوم يأجوج ومأجوج الكرام وعددهم خمس البشر واذا اعترض عليهم فيما يزعمونه من ان عدد البشر لا يزيد ولا ينقص والمشاهد ان عدد طائفة الدروز في سورية لم يكن متساوٍ في كل وقت وانه في وقت الحروب ربما يفقد منهم كثير في يوم واحد ولم يولد به منهم احد او عدد قليل كما انه قد يتفق زيادة عدد المواليد في يومٍ على عدد الموتى منهم فجوابهم على ذلك ان مازاد من الموتى فيولد في بلاد الصين وما زاد من المواليد فيأتي منها وقد شوهد منهم عند ما يولد عندهم مولود ولم يصرخ حالاً كعادة اغلب الاطفال فيفتحوا شبابيك المكان ويبعدون الناس المزدحمين حول الطفل لكي تأتي اليه الروح فمن هذا يعلم اعتقادهم بان النفس الناطقة تدخل الجسم عند الولادة لاقبلها ولذلك لا يترتب جناية القتل على قاتل الطفل في بطن امه لكونه لم يقتل انساناً كاملاً · اما ظهور الحاكم بامره ويوم القيامة فهذا عندهم علامات يترقبونها وهو ان الافرنج يستولون على سواحل البحر في سورية بالقهر وبعد ذلك يصمم سلطان المسلمين على محاربتهم وهدم كنيسة القيامة التي يسمونها قمامة

(وذلك للتحقير كون ان القمامة اسم للمذبلة مجمع الاقزار) فيحاربهم ويطردهم ويهدم الكنيسة المذكورة ولما يبلغ ذلك ملوك النصارى يستنجدونه بالملك يوحنا ملك الحبشة وبابي السويقتين ملك السودان (والمذكور يكون منقمص الاساس اي الشيطان) لاجل هدم الكعبة في مكة فيجتمعون ويصمم رأيهم على الانتقام من المسلمين بهدم الكعبة وحينئذ يقصدون مكة بعساكر جرارة وحينما يرى المسلمون ذلك يجتمع ملوكهم وامراؤهم للذب عن مكة وبينما النصارى والمسلمون سائرين لجهة مكة ليتقاتلوا هنالك يبلغهم خبر عسكر جرار من جهة الشرق وهذه العساكر هي ان حمزة بن عليّ مع الاربعة حدود قد تحركوا من داخل الصين واتوا الى السد وكسروا بابه المصفح وخرجوا مع قومهم الكرام يأجوج ومأجوج بالنيّ الف وخمسماية الف فارس لكي يقيم القيامة على الكافرين ويمشي بالعساكر الى ارض الخرز ثم ينزل بالمراكب في بحر الهند ويخرج في ارض هجر (التي كانت منها ظهور القرامطة) وذلك يكون في شهر جماد او رجب وفيها يقسم العساكر على الاربعة الحدود الكرام لكل منهم خمساية الف فارس ويبقى لنفسه خمساية الف فارس ويقصد مكة فيقع الرعب الشديد في قلوب النصارى والمسلمين ويتركون ما بينهم من الخصام ويتفقون على انتظار ما يكون من حالة العساكر القادمين من جهة المشرق ويتزايد عندهم الخوف والقلق وتنحط قواهم من شدة الرعب الذي يعتريهم ويقر رأيهم على الخضوع والانقياد لهذا الملك العظيم القادم عليهم فيجهزون له الهدايا من الجواهر الثمينة ويحملها الملوك على اكتافهم ويمشون حفاة

الاقدام مكشوفو الراس و يقصدون المشرق فيصادفون اولاً ملكاً عظيم الشان تحت رايته البيضاء خمساية الف فارس لون خيولهم وجميعهم وملابسهم البيضاء فيظنونه الامام فيخبرهم انه بهاء الدين اصغر الحدود وان الامام وراء فيمشون ايضاً و يصادفون الحد الرابع وهو ابو الخير سلامة وتحت رايته خمساية الف فارس لون خيولهم وملابسهم وبيارقهم بنفسجي فيصرفهم الى ما وراءه فيصادفون الحد الثالث وهو محمد الكلمة ومعه خمساية الف فارس لون خيولهم وملابسهم و بيارقهم صفراء ثم يلاقون الحد الثاني وهو اسماعيل صهر حمزة المعروف بالنفس الكلية وبزّي مصة لانه امتص العلم من حمزة ومعـه خمساية الف فارس لون خيولهم وملابسهم وبيارقهم حمراء علامة الغضب لان هذا الشخص على زعمهم كان في ادواره يموت قتيلاً ففي زمن حمزه قتله الروم وانه هو يوحنا المعمدان الذي قتله هيرودس فيصرفهم الى ما وراءهُ وحينئذٍ يقابلون السيد المسعود وهو حمزه ابن علي تخفق على راسه رايته الصفراء ومعه خمسمائة الف فارس لون خيولهم وملابسهم خضراء وكافة سباع البر والوحوش ماشية امامه خاضعة له وعند ما يتقدم هولاء الملوك لمقابلته يتوسلون اليه ان يتعطف عليهم و يرحمهم ويقبل هداياهم فيقبلها منهم و يأمرهم بالمسير امامه الى مكة فيصلون اليها جميعاً يوم الاربعا ثامن من شهر ذي الحجة يكون عيد النحر وفيه تقوم القيامة بالسيف على الكافرين فيبيت النصارى والمسلمون ليلة الخميس في صحراء مكة وهم بغاية الخوف والرعب الشديد وفي صباح الخميس عند شروق الشمس يظهر الحاكم بامره بالصورة التي

ظهر فيها بمصر راكباً حماره الابيض ويصعد على سطح الكعبة ويقف على الركن اليماني ويشهر في يده سيفاً مسلولاً محلاً بالذهب وينادي على الكفار بصوت مزعج مخيف مع التهديد لكونهم لم يؤمنوا به في اوقات ظهوره لهم بالناسوت ويعدّد لهم الادوار التي ظهر فيها بالصورة البشريه ودعاهم الى عبادته والاقرار بوحدانيته وابثوا مصرين على كفرهم وعنادهم ومن ثم يجلس حمزه ورفقائه الاربعة حدود على كراسي مرصعة بالجواهر واللؤلؤ تحت صوان كبير مكلل بالدر والياقوت ويصير الحساب فيتقدم اولاً المؤمنون فيستقبلهم بوجه باش ويسمح لهم عن جميع هفواتهم ويعطيهم الكساوي الفاخرة ويلبسهم التيجان جميعها مرصعة بالجواهر الثمينة ويركبهم الخيل المعتبرة ويقلدهم الاسلحة الفاخرة بمقابلة ما صبروا عليه من تعديات الكافرين والحاكم بامره يدفع السيف الى حمزه فيذبح به ابن البربرية وتشكين الدرزي واما ابو السويقتين الذي هو الاساس فيربطونه في سلسلة ويطوفون به حول البلاد وعند وصولهم به الى بلخ في بلاد خرسان يذبحونه في طشت من ذهب بعد ان يقتل حمزه الاثنين المذكورين يهدي السيف الى اسماعيل ويشتغل ضرب السيف في اعناق اليهود والنصارى والمسلمين ما عدا الموحدين لا يرحمون كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره بل يهلكون كافة سكان مكة والملوك ومن معهم حتى النساء والاطفال ويأتون الى القسطنطنية وبلاد الافرنج وجزائر البحر ويقتلون الناس ويسلبون الاموال ويستولون على خزاين الملوك وبلاد الافرنج وجزاير البحر لا يبقى فيها ساكن فهذه هي القيامه عندهم

واما حمزه فيتسلط بمصر على مدينة القاهرة المقدسة والاربعة حدود يجلسون عن يمينه وعن شماله والحاكم بامره يدوم معهم الى الابد وتعطى الوظائف السامية الى الموحدين فيكونون سلاطين ووزراء وامراء كل بحسب استحقاقه وتكون بقية الامم تحت رق العبودية والعذاب الدايم الى الابد وتضرب عليهم الجزية ويلبسون الغيار ويعلقون باذانهم علامات ليمتازوا بها وهذه العلامات على ثلاث اصناف الصنف الاول يسمونه النواصب يهود امة موسى يوضع في اذني كل واحد منهم علاقتين من الرصاص وزنهما عشرون درهما والغيارات يكون طرف كمه مصبوغاً بلون فاختي والايسر تؤخذ منهم الجزية في كل سنة دينارين ونصف عن كل شخص ·

والصنف الثاني هم اهل التأويل المشركون الواقفون على العدم نصارى امة عيسى يوضع في اذنى كل منهم علاقتان من الحديد وزنهما ثلاثون درهماً والغيار يكون طرف كمه الايمن مصبوغاً بالسواد وتوخذ منه الجزية في كل سنة ثلاث دنانير ونصف والصنف الثالث هم المنافقون المسلمون امة محمد المرتدون عن توحيد الحاكم بامره يوضع في اذنى كل واحد منهم علاقتان من الزجاج الاسود وزنهما اربعون درهما والغيار يكون مصبوغاً بلون رصاصي ويكون على راسه طرطور من جلد الثعلب طوله ذراع واحداً وتؤخذ من كل واحد منهم الجزية في كل سنة خمسة دنانير وتوخذ الجزية من الشيوخ والشبان والنساء والصبيان والاطفال الذين في المهد وتتغير العلايق في كل سنة فمن خالف منهم

في نقصت علايقه يضرب عنقه والعلايق تحرقهم في الصيف كالنار وتبردهم او الشتاء كالثلج ويكون لجميعهم رايحة كريهة ينشقها كل انسان عدا الموحدين مع عدم الراحة في افكارهم واجسامهم وكلما ياكلونه يكون مرًّا وكلما يشربونه يكون مرًّا ايضًا ومن ثم يدومون في عبودية الموحدين والعذاب الدايم الى ابد الابدين ودهر الداهرين ومال الجزية تؤخذ بمصر في جامع عمرو ابن العاص عند القبلة وفي دمشق في جامع معاوية الاموي وفي بغداد في جامع المدينة وهو الجانب الغربي واما الجهال من الدروز الذين يموتون في حالة الجهل والذين عبدوا الحاكم بامره وقت ظهوره وعند الغيبة ارتدوا عن عبادته فلهم عذاب الصنف الثالث واذا اعترضوا وقالوا اننا لم نعلم باننا وجدنا في العالم قبل الآن ولا باننا لم نؤمن وجوابهم على ذلك ان هذه المعرفة كانت ايام الكشف وظهور الدعوة التي بلغت جميع سكان الارض ولكن بعد الغيبة اي غيبة الحاكم بامره قد منعها حمزه إلاّ لمن يختاره فيعلن له ذلك وان كثيرًا من مواليدهم في كل عصر ينطقون اي يخبرون عن انتقالاتهم ويبرهنون على صدق اخبارهم بدلايل واضحة وانه يوم القيامة كل انسان يعرف انتقالات نفسه في كل دور ولهم في ذلك روايات كثيرة عن اشخاص يعددونهم فيقولون ان فلانًا انتقلت روحه الى فلان فمن ذلك يزعمون حكاية وقعت منذ خمسين سنة بان مولودًا منهم في الجبل الاعلى من بلاد حلب عند ما بلغ الخمس سنوات من عمره اظهر التشكي من معيشة والديه الفقرية وانه كان في عيشة رغدة فسألوه اين كان فقرر انه من مدينة دمشق وكان اسمه

ابا الحسن القباني بيته في حارة التيامنة بدمشق وقد توفى عن امرأَة واولاد
ومن ثمَّ انلد في مكان كذا وعاش نصف سنة ومات وعند ذلك حضر الى
عندهم وعند ما تكرر منه هذا الكلام طلبوا تحقيق ذلك بالفعل فحملوه الى
دمشق وعند ما صار بالقرب منها اخبرهم بانه صار يعرف الطريق والاماكن
التي يمر عليها وصار يخبرهم عن اسماء القرى والمزارع والطرقات حتى دخلوا
دمشق وكان ايضاً يخبرهم عن اسماء الشوارع والاسواق التي يمرون عليها وعن
اسماء بعض الاشخاص الذين يقابلهم في طريقه حتى وصل الى حارة التيامنة
فقال لهم هذا بيتي وقرع الباب فاجابته امرأَة من داخل وعند ما سمع صوتها قال
لمن معهُ هذه زوجتي ونادها باسمها افتحي ففتحت فاخبرها بانه زوجها وفي الوقت
حضر لعنده معتبروا الدروز القاطنون في المحلة وفهموا القضية وجرى عليه
التحقيق اولاً لكون وفاة ابي الحسن القباني في الوقت الذي اخبر عنه ثانياً انه
اخبر عن عدد اولاده باسمائهم وكمية سني اعمارهم وكانوا كما قال ثالثاً اخبر عن
شركة خيول كانت له فوجدت كما قرر رابعاً اخبرهم انه في مرضه الذي مات
فيه زاره فلان من المسلمين وشرب عنده الشيشه ووقع عنها جمرة على لحافه
المتدثر به فاحترق مكانها فوجد اللحاف محفوظاً كما هو خامساً اخبر عن الديون
التي تركها ومنها مبلغ صغير عند انسان منهم يحيك العبي ولم تكن
مرقومة بالدفتر فصدق زوجته واولاده على جميع الديون كتقريره خلا ما
عند الحايك فصار استحضاره وسوأَلهُ عنها فاعترف بها وانه من احتياجه
لم يخبر اولاده بها سادساً اخبرهم بانه اخفى في ارض مخدع في بيته اناء

من الفخار فيه مبلغ من النقود وعدداً لهم اصنافها وسألهم هل عثرتم عليه فاجابوه كلاً حينئذٍ نهض بمشهد من الحاضرين وحضر المكان الذي اشار اليه واخرج منها الدفينة فعدوها واذا هي طبق الذي قاله و بعد ذلك بقي اياماً في زيارة زوجته واولاده الذين صاروا اكبر منه سناً ثم اعطوه مبلغاً من المال وسافر مع والديه الجديدين قال الراوي انهُ اجتمع مع بعض عقلاء الدروز منذ ثلاثين سنة وحققوا له هذا الشخص ومعرفتهم لهُ قبل وفاته في دمشق وغب ميلاده ثانية في الجبل الاعلى وخاطبتهم له بهذه الدعوى وانه حقق لهم دعواه هذه على قواعد دياناتهم ولم يترك لهم بذلك شكاً والله اعلم

ولنرجع الآن على اتمام الكلام على ما يكون بعد القيامة المتقدم ذكرها عندهم فنقول ان السعادة التي يتحصل عليها الدروز هي ان يكونوا في رفاهية ابدية ولا يصيبهم شيئاً يكدرهم حتى ان البرغوث لا يقرص احداً منهم ولكن التقمص لا بدَّ منه وان في كل مائة وعشرين سنة يموت احدهم فيولد ثانية من دون خوف ولا انزعاج ولا الم بل بكل راحة ولذة وكل فرد منهم وكذا من المغضوب عليهم يعرف نفسه ويعرف كافه انتقالاته من جسم الى اخر من ابتداء خليقة البشر الى وقته غير ان المغضوب عليهم ان قرصه البرغوث يشعر به كلدغة العقرب وعند موت احدهم يقاسي اشد العذابات بالكرب والاوجاع والرعب الشديد لحوادث القيامة المذكورة هي التي ينظمونها في اشعارهم ويترنمون فيها في خلواتهم كما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب مجالسهم وهذا مما يهيج حماستهم ويحركهم الى الفتك باعدائهم ومخالفيهم وبالاختصار اقول

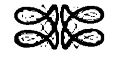
ان السعادة الابدية عندهم انما هي دولة فكرية يشيدونها على اساس الاوهام بانهم يستولون على كافة المسكونة ويحوزون على كنوز الارض وخيراتها ويستعبدون الامم جميعاً ويا كلون ويشربون ويتذوجون ويتوالدون ويموتون كما هم الان ولا يكون لهمْ ولا غمْ وفي طباعهم يظهر استعداد خصوصي لحب الرياسة والاستيلاء باي وجه كان امكنهم ويلقون بانفسهم في المخاطر المهلكة لاجل الحصول على هذه الغاية ففي الزمن الاول كانوا يجتهدون في اقناع المسلمين بكونهم مسلمين نظيرهم وكانوا يرسلون اناساً منهم في كل سنة باجرة لكي يحجوا الى مكة وفي جيل الامير بشير الشهابي الكبير تمكن الشيخ بشير جنبلاط الدرزي والد الشيخ سعيد الذي كان في لبنان بان يحتال في نزع الحكومة من ايدي اسياده الامراء الشهابيين باظهاره للدولة بان الشهابيين نصارى وانه هو من المسلمين لينال من الحكومة مكانهم فبنى جامعاً بمنارة قرية المختارة وكانت محل اقامته وعين له اماماً مسلماً وموزناً وكان مع الدروز الذين حوله يقيمون الصلاة الخمس وصلوة الجمعة ثم اغرى شاباً جاهلاً من الامراء الشهابيين اسمه الامير حسن بان يقتل اباه وعمه ويظهر اسلامه وانه يقتلهما لكونهما نصرانيين وهو يجعله حاكماً بدلاً عن الامير بشير وذلك في سنة ١٨١٩ مسيحية ففعل كشوره عليه وقتلهما غدراً فلم ينجح بعمله لان سليمان باشا والي صيدا وكان وقتئذٍ اعتقله وارسله الى ترسانة اسلامبول واما الشيخ المذكور لم يفتر عن عمل الدسائس وفي سنة ١٢٤٠ هجرية تعصب معه جمهور عظيم من

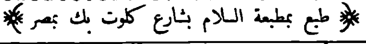
الدروز ومشايخهم ومعهم جانب من النصارى الذين تحت ولايتهم ساقوهم لمرغوبهم بالرهبة والاهابة واتوا على الامير بشير الشهابي بغتة اذ لم يكن عنده اكثر من مابة وخمسون نفر من اتباعه وحضر لمعونة الشيخ الشهابي مشايخ النكدية اعداء الشيخ بشير الجنبلاطي لكونه قاتل والديهم ومعهم نحو خمسماية نفر اكثرهم من نصارى دير القمر وكان الاعداء نحو ثلاثة عشر الفًا. فقاتلهم الامير بهذا العدد القليل ثم حضر لمعونة الشيخ بشير الشهابي عساكر قليلة عن طرف عبد الله باشا والي صيدا وحصل ثلاث حرابات كانت فيها النصرة للامير بشير الشهابي وفي الاخيرة منها هرب الشيخ بشير الجنبلاطي الدرزي وجماعته من لبنان اما والي الشام مصطفى باشا بيلانلي وضع اليد عليه وعلى الشيخ علي العماد الذي امر بقتله حالاً فقطعوه بالسيوف واما الشيخ بشير الدرزي فارسل عبد الله باشا وحبسه مدة حتى تحقق امره فامر بخنقه فخنق ومات ولما تحقق عنده ان السبب بناية الجامع في قرية المختارة وكون المقصود منه خديعة المسلمين فبعد الاستغناء امر بهدمه فهُدِمَ . واما نظرًا لعدد اشخاص طايفة الدروز في لبنان وغيره على وجه التحقيق فلا يزيدون عن خمسين الف نسمة وما ذكره اصحاب الجغرافيات بانهم اكثر من ذلك فهو غلط ووهم وتفصيلهم كهذا :

عدد	
٢٧٠٠٠	في جبل لبنان
٠٧٠٠٠	حاصبياً وراشيا ومرجعيون
٠٤٠٠٠	في اقليم البلاَّن ودمشق وقراياها
٠٨٠٠٠	في جبل حوران
٠١٥٠٠	في بلاد صفد
٠٢٠٠٠	في الجبل الاعلى من بلاد حلب
٠٠٥٠٠	في راس بيروت طائفة الذكت لا تقرب اليها الدروز لدنائتها وهي منهم
٥٠٠٠٠	خمسين الف نسمة جميع الدروز

واما دروز حوران فهم اقل تهذيباً من دروز لبنان لانهم اكتسبوا خشونة الطباع من مجاوريهم عربان البادية فتراهم يكثرون التعدّي والطمع على الضعفاء الكائنين في جوارهم ولا يتلطفون مع الناس في معاشرتهم وقلما يراعون الحلال والحرام في مأكولاتهم مثلما يراعونها دروز لبنان ووادي التيم وبالجملة يظهر اختلاف طباعهم عن البنانيين لمن يعاشرهم من اول وهلة واما دروز بلاد صفد فليس لهم شيء في الاعتبار ولاهم من ذوي الشجاعة بل هم بين مجاوريهم يحسبون من الضعفاء وفي ظهور محاربة الدولة العثمانية مع الدولة الروسية سنة ١٨٥٥ مسيحية واشتغال الدولة بالاجانب وكذا في جميع الحوادث تغتنم الدروز الفرصة ويتمادون

بالجور والتعدي على من هو بينهم من الضعفاء النصارى والمسلمين في حوران ووادي التيم ولا يتوقفون عن اجراء كلما يريدونه من التعدي والهيجان وهذه هي اطوارهم في اوقات اشتغال الدولة بالحرب فلا يتأخرون عن اجراء مشيئتهم ولا يفتكرون بالعواقب مطلقاً وبالاجمال ان طايفة الدروز هي ممتازة عن جميع سكان سورية في حسن المكالمة وشرف النفس واظهار التودد للجميع ولهم مهارة كافية مع تخيلات وافية بصيانة انفسهم من اعدائهم وفي ادارة امور سياستهم حتى لا يكونون مغلوبين لا من الحكومة ولا من مجاوريهم ولهم صناعة متقنة في استجلاب من يريدون اتفاقه معهم والذي يتظاهر بكونه صديقهم او التجيء اليهم فلا يمكن ان يهملوه او يرتضو بالتعدي عليه من احد وربما قتل الدرزي قريبه لاجل صديقه الاجنبي وهذا ليس صادر منهم عن اخلاص طوية بل رعاية لشرف اسمهم فلا يوثق بصدق كلامهم إلاّ فيما لا يضرهم او فيما يعود نفعه عليهم او فيما اذا كان يظهر كذبهم فيما بعد ويخشون فيه من افتضاحهم بعدم الصدق ولا يمكن الاستوثاق منهم باليمين في الامور الخفية او فيما يمكنهم يقدمون عليه عذراً فيما بعد والى هنا انتهى تلخيص اخبارهم واحوالهم والحمد لله في البدء والختام انتهى





طبع بمطبعة السلام بشارع كلوت بك بمصر